قصتان

ماجدة غضبان ❖

المُبصِر

أجلسُ قرب الشجرة التي في السوق، أشمُّ أريجَها كلَّ يومٍ من الضُّحى حتى الظهيرة، ومن العصر حتى الغسق أرسم في مخيلتي صورًا صاخبةً للباعة وهم يَزْعقون مروِّجين لبضائعهم، وصورًا أخرى ملوَّنةً وفاتنةً للنساء اللواتي يسألن بأصواتٍ أنثويةٍ ناعمةٍ عن ثمن البضائع. أحيانًا كان يَقْطع انسيابَ الصور والأصوات في عالمي صوتُ أحدهم يلقي بالتحية عليّ، فأجيبه متعجِّلاً وبانزعاج. ولم يكن يَشْغلني كثيرًا كيف أحكُّ الجزءَ الأعلى من ساقيّ المبتورتيْن بالجزء الأسفل من ذراعيَّ المقطوعتيْن، بقدْرِ ما كان يَشْغلني صوتُها عند قدومها وهي تقول:

ـ مرحبًا. جئتُ لأسمعَ قصيدتَكَ الجديدة وأنا أدفعُ كرسيَّكَ حتى المنزل، ثم أكتبها هناك وأضيفها إلى قصائدك

فأقول لها

ـ أخبريني، هل احمرَّ خيطُ الشمس؟

وتجيب ضاحكةً كأنها تعلم ماذا سأقول:

ـ أجل، إنّه يحمرّ

ـ والعصافير التي على الشجرة، هل عادت؟

تجيب بمرحٍ يرنّ كجرس في صوتها:

ـ أجل، لقد عادت

أقول وأنا أشمُّ عطرَها

ـ لنعد نحن أيضا

ـ أجل، لنَعُدْ.

ويختفي صريرُ دولاب الكرسي في دهليز أحد المنازل

الصورة

كان آخرَ ما تبقّى منها صورةٌ بإطارٍ خشبي على جدارٍ قديم يكاد أن يصير هباءً وكان آخرُ ثوبٍ رثٍّ لي معلَّقًا على مسمارٍ صدئ جوارها، مددتُ يدي صوبه بحذر شديد كأني أخشى على الحائط أن يتهاوى. ارتديتُه على عجل، من دون أن أغيِّر الثيابَ التي أصبحتْ تحته، متوقِّعًا قسوةَ الطقس في الخارج.

صفعتْني يدُ الريح القوية وأنا أقفز إلى الشارع، حين تناهى إلى سمعي صوتُ زجاج الصورة وهو يتحطّم شغلني الفضولُ للحظة، فاستدرتُ إلى الداخل كان الجدار يتهاوى حقّاً ككتلٍ طينيةٍ ضخمة، يَسْحق ما تبقّى على الأرض من شظايا الإطار الخشبي.

تلقّفني البردُ من جديد وأنا أعدو، مبتعدًا قدرَ ما استطعتُ، يشيِّعني صخبُ انهيار البيت، جدارًا بعد آخر.

بغداد (أيلول ٢٠٠٧)

❖ ـ كاتبة وشاعرة عراقية من بغداد طبيبة بيطرية سابقًا